

رسالة

## في معرفة النفس الناطقة واحوالها

لاي علي بن سينا \*

نشرها وعلق عليها

محمد ثابت الفندي

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة)

### مقدمة الناشر

زالت دراسة ابن سينا تتسع للكثير من الجهود الموقّعة ، رغم ما نُشر له من المصنّفات وما كتب عنه من الكتب والمقالات . ولعلّ أولى تلك الجهود بالتقديم ما انصرف الى إحياء مؤلفاته التي لم تُنشر بعد ، والتي ما برحت مبعثرة هنا وهناك في مختلف مكتبات الشرق

والعرب، فجمع تلك المؤلفات وطبعتها طبعةً عليّةً أمرٌ يحسن ضرورته كل من حاول أن يدرس هذا الفيلسوف، فألم بأسماء كتبه وعرف ما بقي منها على قيد الحياة وما تصرفت به أحداث الزمان، وما طبع من ذلك الباقي وما لم يطبع بعد.

قدّمنا هذا بعد أن عكفنا على دراسة هذا الفيلسوف أعواماً عدّةً وأحصينا مؤلفاته في ثبوت جامع<sup>(١)</sup>، وتلمسنا حياته وفلسفته في كل مظانها، فلم تزد بعد هذا كله إلّا يقيناً بنقص تلك الدراسة لكثرة ما له من الكتب وأجزاء الكتب المخطوطة التي لم تمسها يد ناشر بعد. لذلك صحت منا العزّة على أن ننشر ما وقع إلينا من مؤلفاته أثناء دراستنا له<sup>(٢)</sup> قبل الإقدام على إذاعة نتائج تلك الدراسة. ومن هذه المؤلفات «رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها». أغفلت ذكرها المراجع الإسلامي القريب لعمده، فلم يذكرها فيما ذكر له من الكتب: ابن القفطي، وابن أبي أصيبعة، والسمرقندي<sup>(٣)</sup>، وظهر الدين البيهقي<sup>(٤)</sup>، وأحمد بن محمد الشهرزوري<sup>(٥)</sup>، وابن خلكان. وأول من أشار إليها من مؤلفي الإسلام حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون»، ولم يذكرها باسمها بل اكتفى بأن قال: «... وله رسالة حررها في عام النفس وجعلها ثلاثة فصول أولها: الحمد لله الذي لا يجيب من بابه أمل»<sup>(٦)</sup>. وذكرها من مؤلفي أوروبا بروكلمان بعنوان «رسالة في النفس الناطقة وأحوالها»<sup>(٧)</sup>. وأشار إلى أنها توجد في برلين برقم ٥٣٤٢. ولقد عثرتُ، بعد البحث الطويل بين بضعة

(١) سيُنشر ما قريب في القاهرة.

(٢) من أم هذه المؤلفات: المباحث، المجموع، الموسيقى (جزء من الشفاء)، الرد على المنجمين، النفس، الشرقيات، بعض كتاب الإنصاف، ورسائل أخرى صغيرة.

(٣) نظامي عروضي السمرقندي: جوار مقاله، الترجمة الإنجليزية، سلسلة جب التذكارية، انظر مواضع مختلفة.

(٤) له كتاب في تاريخ حكماء الإسلام؛

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٦٦ تاريخ.

(٥) له كتاب في تاريخ الحكماء هو «روضة الافراح» مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون، طبعة بولاق، ١: ٤٣٤، ص ١-٢

(٧) Brockelmann, *Gesch. d. ar. Litt.* II, 454

آلاف من المخطوطات العربية والفارسية والتركية التي ضُمَّت الى مكتبة الجامعة المصرية من مكتبة المرحوم محمد طلعت بك ، علي نسختين من هذه الرسالة : إحداهما كاملة مستقلة مكتوبة بخط فارسي واضح جميل ، عنوانها مخالف بعض المخالفة لما ذكره بروكلمان وهو « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها »<sup>(١)</sup> ، والأخرى ناقصة وتوجد ضمن مجموعة خطية من الرسائل في نفس المكتبة<sup>(٢)</sup> . كذلك توجد بدار الكتب المصرية صورة فوتوغرافية من نسخة برلين . فلما اكتملت لي هذه النسخ الثلاث رأيت أن أعدَّ هذه الرسالة للنشر بعد المقارنة والتصحيح . وقد رمزت لها على الترتيب بالحروف : ب ، ج ، د .

وليس في هذه الرسالة ما يدلُّ على تاريخ تأليفها ، غير أن الناظر في كتب ابن سينا المختلفة قد يستطيع القول بأنها من أوائل تصانيفه ، ولعلها ترجع الى أيامه الاخيرة ببخارى (عاش بها الى ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م ، وكان قد وُلد عام ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م) أو على الاكثر الى أيامه بكركانج عاصمة خوارزم (من ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م الى ٤٠٣ = ١٠١٢ م) . لأنها تحمل في ثناياها « بذور » بعض براهينه على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن ، تلك البذور التي نجدها فيما بعد مترعة نامية في كتبه المتأخرة كالشفا . والاشارات مثلا . فالبرهان الثاني في هذه الرسالة هو في الواقع الثالث من براهينه في كتاب الشفا<sup>(٣)</sup> (مع تفاوت واضح ) لأن مؤدأها واحد هو إيجاد حالة نفسية تغفل فيها النفس تماماً عن كل ما هو بدني فلا تشعر إلا بآينتها الحاصلة ، فإذا وصلت الى ذلك استطاعت أن تدرك إن جوهرها مغاير لجوهر البدن<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر المخطوط رقم ١١٧٧٦ بمكتبة الجامعة المصرية ، ص ١

(٢) انظر المخطوط رقم ١/١٣٠٥١ بنفس المكتبة .

(٣) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، المقالة الخامسة ، الفصل السابع ، ص ٢٦٢ - ٢٦٢

(٤) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٢٦٢ ؛ وقد ذكر هذا البرهان أيضاً في موضع متقدم من الشفاء ، انظر النفس ، م ١ ، ف ١ ، ص ٢٨١ ، ص ٢٢ وما بعده . ولم يذكره في النجاة ولكنه ذكره في الاشارات ، انظر طبعة ليدن ١٨٩٢ ، ص ١١٩ . وقد أثبت العلامة فورلاني Furlani أن النصين الواردين في الشفاء عن هذا البرهان كان قد نقلهما الى اللاتينية الفيلسوف غليوم اوفرتي Auvergne ، وذهب هذا العلامة ، الى

والبرهان الثالث في هذه الرسالة هو أيضاً الاول في الثبوت. "ومؤداهما هو ضرورة وجود مبدأ واحد تجتمع فيه المدركات على اختلافها : ظاهرة وباطنة. أما برهانه الاول في هذه الرسالة فلم نعثر له على نظير صريح في كنهه الاخرى" مما يجعل لهذه الرسالة قيمة خاصة في نظرنا. وسنشير في التعليقات على هذه الرسالة الى المواضع التي يمكن أن يرجع إليها في كنهه الاخرى كلما دعت الحاجة. وهذا هو نص الرسالة :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة

### في معرفة النفس الناطقة واهوالها

لأبي علي بن سينا

الحمد لله الذي لا يُخَيَّبُ من بابِه أمل ، ولا يُجْرِمُ عن جنبه عامل ، ولا يُجِيبُ العارفين عن ورود مناهل مشاهدة أنوار جلاله مانعٌ وحائل ، ولم يمنع المشتاقين لقائه عن الصعود من حضيض الفراق الى أوج الوصال ناقص

إمكان اطلاع ديكرات على هذه الترجمة للشبه القوي بين برهان ابن سينا المذكور وكلام ديكرات في التمييز بين الجسم والنفس (مقال *Avicenna Cartesio, Il Cogito, Ergo Sum* في مجلة *Islamica* ، ج ١ ، ص ٣٠١ ، ص ٥٢ وما بعدها ، لبيك ١٩٢٧).

(١) الشفاء، النفس، م ٥٠ ، ف ٧ ، ص ٣٦٢

(٢) قد أورد ابن سينا براهين أخرى على مقابلة جوهر النفس لجوهر البدن في رسالة صغيرة عنوانها « النفس » أسماها براهين المناطقة (انظر النفس ، مخطوط رقم ٣٩٧ فلسفة بدار الكتب المصرية، الفصل الثامن).

أو كامل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص لمشاهدة جلاله سره ، وعرض في منازل<sup>(١)</sup> التوحيد على أعين النظائر سيره ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عقد على أجياد أرواح الأبرار قلائد الاسرار ، فصولات الله عليه وعلى آله الاخيار . وبعد فهذه رسالة حردتها في علم النفس ، وجعلتها ثلاثة فصول :

الفصل الاول في إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن .

الفصل الثاني في بقاء النفس بعد فناء البدن .

الفصل الثالث في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد مفارقة النفس

عن<sup>(٢)</sup> البدن .

ثم ألحقت بها خاتمة أذكر فيها العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل ، وعالم النفس ، وعالم الجسم<sup>(٣)</sup> ، وترتيب الوجود من لدن<sup>(٤)</sup> الحق الاول الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل من عنده تعالى ، ليكون الناظر في هذه الرسالة مطلعاً على جمل من أجناس المخلوقات وشطير من أنواعها ، فأهديت<sup>(٥)</sup> هذه الرسالة التي هي مشتملة على أهم المطالب وهو معرفة الانسان نفسه وما يؤول اليه حاله بعد الارتقاء<sup>(٦)</sup> ، وأيضاً فإن معرفة النفس سرقة الى معرفة الرب تعالى كما أشار اليه قائل الحق بقوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه . »<sup>(٧)</sup>

(١) في ج : منازل . في د : ياض .

(٢) في ج : عن ناقصة .

(٣) في ج : المادة بدل الجسم .

(٤) في د : لدى بدل لدن .

(٥) في ب و د : فأهديته وأهديته (على التعريب) .

(٦) في ب : « جدا » بدل الارتقاء .

(٧) هذا حديث في بعض المراجع ، قال كتاب « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة

المراتب » : « قال السمعاني إنه لا يعرف مرفوعاً . وقال النووي ليس بمحدث ، ونسبه بعضهم

الى ابي سعيد الخراساني ، وبعضهم الى يحيى بن معاذ الرازي » اه . وقد نسبه ابن سينا نفسه الى علي

ابن ابي طالب ، وذلك في كتاب « المباحثات » الذي جمعه عنه تلميذه كياريس ، انظر

المباحثات ، مخطوط بالقاهرة رقم ٣٩٧ ، ص ١

ولو كان المراد بالنفس في هذا الحديث هو<sup>(١)</sup> هذا الجسم لكان كل أحد عارفا بربه ، اعني خصوص معرفة ، وليس كذلك ، فهذه الرسالة تهديك الى الاسرار المخزونة في عالم النفس الذي<sup>(٢)</sup> غفل عنه الدهماء من الناس بل أكثر العلماء عنه غافلون . ولهذا أوحى الى رسول الله لما سئل عن حقيقة الروح « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » ، ثم قال عقبيه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »<sup>(٣)</sup> تنبيها على أكثر الناس عن النفس وحقيقة الروح . فهذا هو الاشارة المختصرة الى فوائد هذه الرسالة . فلنشرع فيما ذكر من الفصول بشرفيق الله وحسن هدايته :

## الفصل الاول

### في إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن

فنقول : المراد بالنفس ما يشير اليه كل أحد بقوله « أنا » ، وقد اختلف أهل العالم<sup>(٤)</sup> في أن المشار اليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره . أما الأول فقد ظن<sup>(٥)</sup> أكثر الناس وكثير من المتكلمين<sup>(٦)</sup> أن الانسان هو هذا البدن ، وكل أحد فإنما يشير اليه بقوله « أنا » ، فهذا ظن فاسد لما سنبينه .

(١) في ب و ج : فهو .

(٢) في ج : التي .

(٣) الآية ٨٥ من سورة الاسراء ، ص ٣٧٦ من مصحف الملك .

(٤) في ب : العلم .

(٥) في ب : « أن » بمد ظن .

(٦) نحت انظار المتكلمين في النفس نحوًا ماديًا في معظم الاحيان ، ولم يشذ عن هذا المعتزلة انفسهم اذ نجد بعض زعمائهم كأبي اسحق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ( † ٣٢١ هـ = ٨٣٦ م ) يذهب الى ان الانسان هو الروح وهي جسانية (الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، طبعة ريدر بالقسطنطينية ، ٢ : ٣٣١ ، ٢٢٢ ) ومنهم محمد بن عبد الوهاب ابن سلام الجبائي ( † ٣٠٣ = ٩١٥ م ) الذي يذهب كذلك الى ان الروح جسم (المؤلف نفسه ، ٢ : ٢٣٤ ) .

والقاتلون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا : فمنهم من قال إنه غير جسم ولا جسماني بل هو جوهر روحي فاض على<sup>(١)</sup> هذا القالب وأحياء واتخذة آلة في اكتساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بها ويصير عارفاً بربه عالماً بحقائق معلوماته فيستعد بذلك للرجوع الى حضرة ويصير ملكاً من ملائكته في سعادة لا نهاية لها ، وهذا هو مذهب الحكماء الالهيين والعلماء الريانيين ، وواقفهم في ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة ، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم واتصلهم بالانوار الالهية . ولنا في صحة هذا المذهب من حيث البحث والنظر براهين :

البرهان الاول :

تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً جميع عمرك حتى إنك تتذكر كثيراً بما جرى من أحوالك ، فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك ، وبدنك وأجزائه ليس ثابتاً مستمراً بل هو أبداً في التحلل والانتقاص ، ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ، فإن البدن حار رطب ، والحر إذا أثر في الرطب تحلل جوهر الرطب حتى فني بكتليته كما لو<sup>(٢)</sup> يوقد عليه النار دائماً فإنه يتحلل الى أن لا يبقى منه شيء . ولهذا لو حبس عن الانسان الغذاء مدة قليلة نزل<sup>(٣)</sup> وانتقص قريب من ربع بدنه ، فتعلم نفسك<sup>(٤)</sup> أن في مدة عشرين سنة لم يبق شيء من أجزاء بدنك ، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك ، فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحواس والاهوام ، فن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره في نفسه تصوراً حقيقياً فقد أدرك ما غاب عن غيره .

(١) « على » زائدة من الناشر .

(٢) في ج و د : لو ناقصة .

(٣) في ب : زل بدل نزل .

(٤) في ج : نفساً .

البرهان الثاني :

هو أن الانسان إذا كان متهماً في أمر من الامور فإنه يستحضر ذاته حتى إنه يقول إني فعلتُ كذا أو فعلتُ<sup>(١)</sup> كذا ، وفي مثل هذه الحالة يكون غافلاً عن جميع أجزاء بدنه ، والمعلوم بالفعل غير ما هو مغفول عنه ، فذات الانسان مغايرة للبدن .

البرهان الثالث :

هو أن الانسان يقول أدركت الشيء . الفلاني ببصرى فاشتهيته أو غضبت منه ، وكذا يقول أخذت بيدي ، ومشيت برجلي ، وتكلمت بلساني ، وسمعت بأذني ، وتفكرت في كذا وتوهمته وتخيّلته ؛ فنحن نعلم بالضرورة أن في<sup>(٢)</sup> الانسان شيئاً جامعاً لجميع<sup>(٣)</sup> هذه الادراكات ويجمع<sup>(٤)</sup> هذه الافعال ، ونعلم أيضاً بالضرورة أنه ليس شيء من أجزاء هذا البدن مجمعاً لهذه الادراكات والافعال ، فإنه لا يبصر بالاذن ولا يسمع بالبصر ولا يشي باليد ولا يأخذ<sup>(٥)</sup> بالرجل ، فيه شيء يجمع لجميع الادراكات والافعال الالهية ، فإذا الانسان الذي يشير الى نفسه « بأناه مغاير لجملة أجزاء البدن ، فهو شيء وراء البدن . ثم نقول إن هذا الشيء الذي إنه هوية الانسان ومغاير لهذه الجثة لا يمكن أن يكون جسماً ولا جهاتياً ، لانه لو كان كذلك لكان أيضاً منعلاً سيالاً قابلاً للكون والفساد بمنزلة هذا البدن فلم يكن باقياً من أول عمره الى آخره ، فهو إذن جوهر فرد روحاني ، بل هو نور فائض على هذا القالب المحسوس بسبب استعداده وهو المزاج الانساني . والى هذا المعنى أشير في الكتاب الالهي بقوله : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي »<sup>(٦)</sup> ، فالتسوية هو جعل البدن بالمزاج الانسي

(١) في كل النسخ : فعل .

(٢) في كل النسخ : في أن .

(٣) في ب : يجمع بدل يجمع .

(٤) في ب : ويجمع بدل ويجمع .

(٥) في كل النسخ : تأخذ بدل يأخذ .

(٦) الآية ٣٩ من سورة الحجر ، ص ٢٤٠ من مصحف الملك ؛ والآية ٧٢ من سورة

الزمر ، ص ٦٠٤ من المصحف نفسه .

مستعدا لان تتعلق به<sup>(١)</sup> النفس الناطقة ، وقوله « من روعي » إضافة لها إلى نفسه لكونها جوهرًا روحانيا غير جسم ولا جسماني .  
فهذا ما أردنا أن نذكره في هذا الفصل .

## الفصل الثاني

### في بقاء النفس بعد بوار البدن<sup>(٢)</sup>

اعلم أن الجوهر الذي هو الانسان في الحقيقة لا يفنى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق لبقاء خالقه تعالى ، وذلك لان جوهره أقوى من جوهر البدن لانه محرك هذا البدن ومدبره ومتصرف فيه ، والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذا<sup>(٣)</sup> لم يضر مفارقتها عن الابدان وجوده ، إذ<sup>(٤)</sup> البدن موجود باق بعد الموت فلأن لا يُضَرُّ وجودُ النفس وبقاؤه كان أولى ولأن النفس من مقولة الجوهر ، ومقارنته مع البدن من مقولة المضاف ، والاضافة أضعف الاعراض لانه لا يتم وجودها بموضوعها ، بل يحتاج الى شئ. آخر وهو المضاف اليه ، فكيف يبطل الجوهر القائم بنفسه ببطلان أضعف الاعراض المحتاج اليه ، ومثاله أن من يكون مالكا لشيء متصرفاً فيه فإذا بطل ذلك الشيء لم يبطل المالك ببطلانه ، ولهذا فإن الانسان إذا نام بطلت<sup>(٥)</sup> عنه الحواس والادراكات وصار ملقى كالميت ، فالبدن النائم في حالة شبيهة بحال الموتي كما قال رسول الله عليه السلام : « النوم أخو الموت »<sup>(٦)</sup> . ثم إن الانسان في نومه يرى الاشياء ويسمعا بل يدرك الغيب في المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة ،

(١) في ج : « به » ناقصة .

(٢) راجع عن هذا الموضوع كتاب « النجاة » ، ص ٢٠٢ وما بعدها من طبعة القاهرة

١٣٣١ . هـ

(٣) في ب : فاذا بدل فاذا . وفي د : فان بدل فاذا .

(٤) في د : فان بدل إذ .

(٥) في د : بطل بدل بطلت .

(٦) لم اعثر عليه في كتب الحديث ولا في كتب الموضوعات .

فذلك برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج الى هذا البدن ، بل هو يضاف بتعادنة البدن ويتقوى بتعطله ، فإذا مات البدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن ، فاذا كان كاملاً بالعلم والحكمة والعمل الصالح انجذب الى الانوار الالهية وأنوار الملائكة والملائ الأعلی انجذاب إبرة الى جبل عظيم من المناطيس وفاضت عليه السكينة وحقت له الطمأنينة<sup>١</sup> فنودي من الملائ الأعلی : « يايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »<sup>٢</sup>.

### الفصل الثالث

في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد المفارقة عن الأبدان<sup>٣</sup>

إعلم أن النفس الانسانية لا تتحلو<sup>٤</sup> عن ثلاثة أقسام : لانها إما أن تكون كاملة في العلم والعمل ، وإما أن تكون ناقصة فيهما ، وإما أن تكون كاملة في أحدهما ناقصة في الآخر<sup>٥</sup> . وهذا القسم الثالث على قسمين : لانها إما أن تكون كاملة في العلم ناقصة في العمل أو بالعكس . فتكون أصناف النفوس بحسب القسمة الأولى ثلاثة كما ورد في القرآن : « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » ثم قال « والسابقون السابقون أولئك المقربون . »<sup>٦</sup> فنقول أما الكاملون في العلم والعمل فهم السابقون ولهم الدرجة القصوى في جنات

(١) في حج : طمأنينة بدل الطمأنينة .

(٢) الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من سورة الفجر ، ص ٨٠٧ من مصحف الملك .

(٣) في د : البدن بدل الابدان . وللاستعادة من هذا الفصل يمكن الرجوع الى النجاة

ص ٤٧٧ - ٤٩٠

(٤) في و : يتحلو بدل تتحلو .

(٥) في ب : الاخرى بدل الآخر .

(٦) الآيات : ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ من سورة الواقعة ، ص ٧١٣-٧١٤ من مصحف

الملك .

النعم فيلتحقون من العوالم الثلاثة بعالم العقول ويتزهون أن يقارنوا درن الاجسام ونفوس الافلاك مع جلالة قدرها ، فهؤلاء هم السابقون الذين هم في المرتبة العليا . وأصحاب اليمين وهم في المرتبة الوسطى يرتفعون عن عالم الاستحالة<sup>(١)</sup> ويتصلون بنفوس الافلاك ويتطهرون عن دنس عالم العناصر ويشاهدون النعم الذي خلقه الله تعالى في السموات من الحور العين<sup>(٢)</sup> وألوان الاطعمة اللذيذة وألحان الطيور التي تقصر أوصاف الواصفين عن ذكرها وشرحها كما قال عليه السلام حكاية عن ربه : « أعددت لمبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »<sup>(٣)</sup> فهذه مرتبة المتوسطين من الناس . ولا يبعد ان يتأدى أمرهم الى أن يستعدوا للفوز بوصول الدرجة العليا فينغمسوا في اللذات الحقيقية واصلين الى السابقين بعد انقضاء دهور تأتي<sup>(٤)</sup> عليهم ، فهذه مرتبة أصحاب الشمال وهم النازلون في المرتبة السفلى ، المنغمسون في مجور الظلمات الطبيعية ، المنتكسون في قعر الاجرام العنصرية ، المنتحسون في دار البوار ، وهم الذين « دعوا هنالك ثبوراً<sup>(٥)</sup> لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً<sup>(٦)</sup> »

فهذا<sup>(٧)</sup> شرح أحوال الارواح البشرية بعد المفارقة عن الاجسام والمهاجرة الى دار الآخرة ، وقد اتفق على صحتها الوحي الالهي والآراء الحكيمية كما شرحناه .

(١) الاستحالة من حال بمعنى تبدل وتغير ، وليست بمعنى الامتناع .

(٢) في ب : واليمين بدل العين .

(٣) هذا من الاحاديث المتفق على صحتها ، رواه البيهقاري في كتاب بدء الخلق ، الباب الثامن ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، وكذا الترمذي وابن ماجه واحمد في مسنده .

(٤) في كل النسخ : يأتي بدل تأتي .

(٥) في ب : « قَهُم » قبل « المنغمسون » .

(٦) آخر الآية ١٣ من سورة الفرقان ، وهي : « واذا القوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً » .

(٧) الآية ١٤ من سورة الفرقان .

(٨) في ب وحج : فهذه بدل فهذا .

## خاتمة الرسالة

في ذكر العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل وعالم النفس وعالم الجسم<sup>(١)</sup> وترتيب الوجود من لدن الحق تعالى الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل منه تعالى ، فنقول :

إن أول ما خلق الله تعالى جوهر روحاني هو نور محض قائم لا في جسم ولا في مادة ، ذرآك لذاته وخالقه<sup>(٢)</sup> تعالى ، هو عقل محض ، وقد اتفق على صحة هذا جميع الحكماء الالهيين والانبيااء عليهم السلام كما قال صلعم : « أول ما خلق الله تعالى العقل ، ثم قال له [اقبل فاقبل ، ثم قال له]<sup>(٣)</sup> ادبر فأدبر ، ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز منك فبك أعطى وبك آخذ وبك أئيب وبك أعاقب »<sup>(٤)</sup> ، فنقول هذا العقل له ثلاثة<sup>(٥)</sup> تعقلات :

احدها أنه يعقل خالقه تعالى

والثاني أنه يعقل ذاته واجبة بالاول تعالى

والثالث أنه يعقل كونه ممكننا لذاته<sup>(٦)</sup> .

(١) هذا الترتيب الثلاثي باسائه ومناه من الافلاطونية الجديدة Néoplatonisme ، ولعله قد وصل فيلسوفنا عن طريق رسائل اخوان الصفاء التي قرأها في حدائمه (انظر البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٦٦٦ تاريخ ص ١٠١) او عن شروح فلاسفة تلك المدرسة على كتب ارسطو .

(٢) في ب : وبخالقه .

(٣) هذه الفقرة ناقصة في ب و ج .

(٤) روى هذا الحديث عبد الله بن احمد في زوائد المسند عن الحسن مرفوعاً باسناد جيد ؛ واخرجه الطبراني في الكبير والاولى ، وكذلك ابو نعيم باسنادين ضعيفين ؛ واحسب ان القاري وابن تيمية وغيرهما من الاحاديث الموضومة ، ويشبه ان يكون الامر كذلك لصلته الوثيقة بنظرية صدور العالم عن العقل الاول ووساطة هذا العقل بين الله والعالم التي ابتدعتها الفلسفة الافلاطونية الجديدة لتفسير وتطليل فيضان الكثرة عن الوحدة المطلقة .

(٥) في ب و ج : ثلاث بدل ثلاثة .

(٦) هذه هي المبادئ الثلاثة التي اعتمد عليها فلاسفة الاسلام في تفسير صدور الكثرة

فحصل من تعقله خالقه عقل<sup>١</sup> هو أيضا جوهر<sup>٢</sup> عقل<sup>٣</sup> آخر، كحصول السراج من سراج آخر.

وحصلت<sup>٤</sup> من تعقله ذاته واجبة<sup>٥</sup> بالاول نفس<sup>٦</sup>، هي<sup>٧</sup> أيضا جوهر روحاني كالعقل، إلا أنه في الترتيب دونه.

وحصل من تعقله<sup>٨</sup> ذاته<sup>٩</sup> ممكنة<sup>١٠</sup> لذاته جوهر<sup>١١</sup> جسماني هو الفلك الاقصى<sup>١٢</sup>، وهو العرش بلسان الشرع<sup>١٣</sup>.

فتعلقت تلك النفس بذلك الجسم، فتلك النفس هي النفس الكلية المعركة للفلك الاقصى كما تحرك<sup>١٤</sup> نفسنا جسمنا. وتلك الحركة شوقية بها تتحرك<sup>١٥</sup> النفس الكلية الفلكية شوقا وعشقا الى العقل الاول، وهو<sup>١٦</sup> المخلوق الاول، فصار العقل الاول عقلا للفلك الاقصى ومطاعا<sup>١٧</sup> له. ثم حصل من العقل الثاني عقل ونفس وجسم: فالجسم هو الفلك الثاني وهو فلك الثوابت، وهو الكرسي بلسان الشرع وتعلقت النفس الثانية بهذا الفلك.

عن الوحدة، وهي كما ترى نجعل التكرار يبدأ بالعقل الاول من جهة اختلاف تعقلاته وهي:

- ١ تعقله لله.
- ٢ تعقله أنه واجب بوجود الله. ٣ تعقله انه ممكن لذاته.
- (١) في كل النسخ: حصل بدل حصلت، لان النفس مؤنثة كما في لسان العرب.
- (٢) في كل النسخ: هو بدل هي.
- (٣) في و: تعقل بدل تعقله.
- (٤) في ب: الاطلس بدل الاقصى.
- (٥) الى هنا ينتهي ما فاض عن العقل الاول تبعا لاختلاف تعقلاته المشار اليها في المبادئ الثلاثة.

(٦) في كل النسخ: يحرك بدل تحرك.

(٧) في كل النسخ: يتحرك بدل تتحرك.

(٨) في كل النسخ: هو بدل وهو.

(٩) لم يسبق ان عثرنا على هذا اللفظ في كتب ابن سينا الاخرى، وقد ورد في بعض كتب ابي حامد الغزالي واثار إشكالا في معرفة مدلوله، بيد انه هنا واضح المدلول لانه يطلق على العقل الاول، فان ابن سينا يريد ان يقول ان العقل الاول يحرك جرم الفلك الاقصى لا كما تحرك الملة الفاعلة بل كما تحرك الملة الغائية، لذلك وصف تلك الحركة بانها شوقية عشقية، والمعشوق «مطاع» من عاشقه وليس فاعلا للمشق او الحركة، كما لا ينبغي.

وهكذا حصل من كل عقل ونفس وجسم ، الى أن يتهدى الى العقل العاشر ، ثم حصل منه العالم العنصري . والمناصر أربعة : الماء ، النار والهواء والارض ، وحصلت منها المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات والحيوان والانسان الذي هو اكمل الحيوانات وهو بنفسه يشبه الملائكة ، ويمكن أن يبقى بقاء السرمد إذا تشبه<sup>(١)</sup> بها في العلم والعمل ، ويصير هو أيضاً أخس<sup>(٢)</sup> من البهائم والسباع إذا اتصف بأخلاقها داخل الارض واتبع هواه وكان أمره فرطاً . وأما إذا تزه عن طرفي الإفراط والتفريط في الاخلاق وتوسط بينها فلم يكن شبعاً ولا حاملاً في القوة الشهوانية بل يكون غنياً ، فان العفة توسط الشهوة ، ولا يكون أيضاً متهوراً ولا جباناً بل يكون شجاعاً ، كسب القوة الغضبية ، فإن الشجاعة تتوسط<sup>(٣)</sup> بين التهور والجبانة ، وكذلك له حكمة في المعيشة ، وهي<sup>(٤)</sup> حُسنُ التدبير فيما بينه وبين غيره إما بحسب أهل منزله الخاص وهو يتم بين زوج وزوجة ووالد ومولود ومالك ومملوك ، وإما بحسب أهل المدينة في المعاملات وفي السياسيات إن كانت<sup>(٥)</sup> له رتبة في السياسة ، وهذه الحكمة توسط في تدبير نفسه وغيره دون الجزبة<sup>(٦)</sup> والبلاهة . وهذه الحكمة غير الحكمة التي هي العلم بالحقائق فإن تلك الحكمة كلما كانت أشد إفراطاً كان أحسن ، وهذه الحكمة لا ينبغي أن تكون بالإفراط وإلا لكانت جزبة ، ولا بالتفريط وإلا لكانت بلاهة .

وهذه الحصال الثلاث أعنى العفة والشجاعة والحكمة هي التي سميت<sup>(٧)</sup> «عدالة» ، فإمدالة هي مجموع هذه الثلاث ، فمن اتصف بها وكان أيضاً حكيماً

(١) في ج : شبه بدل تشبه .

(٢) في كل النسخ : احسن بدل أخس كما يقتضيه سياق الكلام .

(٣) في ب و ج : يتوسط بدل تتوسط .

(٤) في كل النسخ : هو بدل هي وذلك لان السياق يقتضي ان يكون العائد «حكمة» .

(٥) في كل النسخ : كان بدل كانت ، والعائد رتبة .

(٦) «الجزبة الحب من الرجال وهو دخيل ، ورجل جُرْبَز (بالضم) بين الجزْبَزَة

(بالفتح) ، اي خب ، قال وهو القُرْبُز أيضاً ، وهما عربان » (اللسان ٧ : ١٨٣) .

(٧) في كل النسخ : سمي بدل سميت .

بالحكمة النظرية التي هي العلم بحقائق الاشياء ، فقد صار كاملا في العلم والعمل وصار من جملة من قيل في حقهم : « والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم »<sup>١)</sup>

فإن قلت فهل يمكن أن تحد الحكمة النظرية تحديداً لا يمكن أن يكون أقل منه حتى تسعد<sup>٢)</sup> بها<sup>٣)</sup> النفس تلك السعادة فيكون من السابقين المذكورين؟ قلت يمكن ذلك التحديد بالتقرير فنقول :

ينبغي أن يكون علما بوجود واجب الوجود تعالى وصفات جلاله ونعوت كماله وتقديره عن التشبيه ، ويتصور عنايته بالمخلوقات وإحاطة علمه بالكائنات وشمول قدرته على جميع المقدرات [ ثم يعلم أن وجوده يبتدى من عنده سارياً الى الجواهر العقلية ثم الى النفوس الروحانية الفلكية ثم الى الاجسام العنصرية بسائطها ومركباتها من المعادن ]<sup>٤)</sup> والنبات والحيوان ثم يتصور جوهر النفس الانسانية وأوصافها وأنها ليست بجسم ولا جسمانية وأنها باقية بعد خراب البدن إما منعمة وإما معذبة . فهذا القدر من العلم مُجَمَّله ومُفَصَّله<sup>٥)</sup> هو القدر الذي إذا حصل للانسان استسعد بالسعادة التي شرحنا حالها أعنى سعادة السابقين الكاملين . وبقدر ما ينتقص علمه وعمله انتقص من درجاته وقربه من الله تعالى . وأما الذين قد انحطت رتبهم عن درجة هؤلاء الكاملين علما وعملا وهم المتوسطون فيكونون إما كاملين في العمل دون العلم أو بالعكس فهم يكونون محجوبين عن العالم العلوي مدة حتى تنفسخ<sup>٦)</sup> عنهم تلك الهيئات الظلمانية بتلك الاعمال الرذيلة التي كانوا يعملونها في حياتهم الدنيا ، وتتقرر الهيئة النورية

١) الآية ١ و ١١ و ١٢ من سورة الواقعة ؛ ص ٧١٣-٧١٤ من مصحف الملك .

٢) في ب : يستعد .

٣) في كل النسخ : به بدل جا ، والمائد الحكمة النظرية .

٤) هذه الفقرة ناقصة من ج .

٥) في كل النسخ : مجملة ومفصلة بدل مجمله ومفصله .

٦) في كل النسخ : ينفسخ بدل تنفسخ .

قليلًا قليلًا فيتخلصوا إلى عالم القدس والطهارة<sup>(١)</sup> ويلتحقوا بهؤلاء السابقين<sup>(٢)</sup>.  
وأما الكاملون في العلم دون العمل من القسمين المتوسطين وهم المتزهون من  
أهل الشرائع الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويتبعون  
الأنبياء في أمورهم ونهوا عنه ولكن لا تكون لهم زيادة بسط من حقائق  
العلوم ولا يعرفون أسرارها والأسرار والتزييلات الإلهية وتأويلاتها. فهم إذا  
تخلصوا عن أبدانهم انجذبت نفوسهم إلى نفوس الأفلاك وعرجوا إلى السموات  
فشاهدوا جميع ما قيل لهم في الدنيا من أوصاف الجنة في غاية الشرف والرتبة  
يلبسون فيها من سندس واستبرق وحلوا أساور من فضة متكئين فيها على  
الارائك لا يرون فيها شمسًا ولا زهريًا، ولكن لا يبعد أن يفضى بهم الأمر  
إلى أن يرققوا إلى العالم العقلي والصقع الإلهي فينغمسوا في اللذات الحقيقية التي  
لا يمكن أن<sup>(٣)</sup> يشرحها بيان ولا يكشف عنها مقال ولا يوازنها حال. وإذا قد  
وصلنا إلى هذا المقام وكشفنا هذه الأسرار التي عميت عنها أبصار أكثر الناس  
وغفلوا عن أنفسهم وأحوالهم على الحقيقة، فلنكتف بهذا القدر من الاستبصار  
للطالبيين المسترشدين، جلنا الله وإياكم من المهتدين إنه هو البر الرحيم، وصلى  
الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين أجمعين.

تمت الرسالة الشريفة في النفس الناطقة بتوفيق الله وبأمن جوده وكرمه.

(١) في ج : والطاهرة واظنها والطهارة.

(٢) إلى هنا تنتهي نسخة ج.

(٣) في ب : أن ناقصة.

